صنعة الخطابة عند اليونان والعرب

أ.د. شاكر عبد القادر

جامعة تيارت – الجزائر

الخطاب أو الخطابة أو الخطبة:اتّصال لغوي ولساني، وسلاح معنوي، استعمله ويستعمله الإنسان في هذا الوجود، قد يكون كلاما عاديا يجري على ألسنة العامة والخاصة من النّاس، وقد يكون شعرا. وهو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص أحدهما الباث وهو الخطيب، والأخر المتلقي أو السامع، أوجمع من المستمعين، والرسالة هي نص الخطاب[1]، بينما الخطاب بمفهومه العلمي هو فنّ نثريّ قديم، وجنس أدبي من الأجناس النّثرية التي عرفتها المجتمعات المتحضرة منذ قبل الميلاد، ومن بينها اليونان والعرب. فالخطابة هي الفلسفة التي تنشد الحقيقة عند توجيه الكلام إلى الجهة المقصودة من جمهور المستمعين قصد حثهم، أو تنفيرهم لأمر ما، أو بمناسبة ما من المناسبات الدينية، أو الاجتماعية، والسياسية، أو الحربية والتّجارية القضائيّة وما إلى ذلك. أما الخطاب غير الفني فهو كلّ خطاب مهما كان نوعه، بما فيه الحديث الذي يدور بين النّاس العاديين في العائلة، والمدرسة والشارع، وما إلى ذلك في رأي النّقاد المعاصرين.

والهدف من الخطاب الفنّي هو:أن يكون تربويا، أو أخلاقيا، أو اجتماعيا، أو دينيا، وغرضه: الإقناع. والبلاغة في قسمها المجازي ولاستعارة والتشابه، والفصاحة وتخيرا لألفاظ الملائمة للحدث، والمناسبة للمقام عنصر من عناصر الإقناع ؛ لأنّ تخير الألفاظ البلاغيّة ما هي إلاّ وسيلة من الوسائل التي تزيد من رفع قيمة الخطبة ودرجتها التأثيرية في الحالة النّفسية للمتلقين، وهنا لا يمكن لنصّ الخطاب مهما كان نوعه الاستغناء عن البلاغة، لذا فالبلاغة رافقت الخطابة منذ القدم، ووجدت لخدمتها، وتعدّ من الصّور الكلامية التي تثير خيال المخاطبين. وقد كان أرسطو(384-322ق.م) المنظر للخطابة اليونانية وصاحب نقد الشّعر، وهو الذي كتب تاريخ البلاغة[2]. كما كان للبلاغة أهمّية كبيرة في فهم حقيقة الإعجاز القرآني.

إنّ (الخطاب البليغ، وبلاغة الخطاب) موضوع طريف وشيّق، وجميل، وكلّ من لفظة الخطابة والبلاغة ذات جذور وأصول تراثية قديمة قدم اللغة الإنسانية، من حيث الوظيفة والاستعمال. واللفظتان تداولهما ضارب جذوره في أعماق تاريخ اللغة البشرية، ومنها اللغة العربية، لهذا فضّلنا البحث عن معاني اللفظتين معجميا، ودلاليا قبل الولوج في تناول العلاقة التي تربطهما وظيفيا، وأهميّة البلاغة، وأشهر رجالها عند اليونان والعرب، وسنتناول كلمة الخطاب في الموروث المعجمي، ثمّ في كلام الله جلّ شأنه.

الخطابة، معجميا: إنّ لفظة "الخِطاب" جذره " خَطَبَ"، قال الزّمخشري: خَطَبَ، خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخَطَبَ الْخَطِيبُ خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة. [3] والخِطَابُ: توجيه الكلام إلى الجهة المقصودة، مثل جمهور المستمعين من النّاس، والخطاب بكسر الخاء وتخفيف الطاء يراد به توجيه الكلام إلى جهة القصد، والخَطابة بفتح الخاء هي:تدليس النّاس بالكلام.

وقال ابن منظور:خَطَبَ، والخطبُ: الشّأن أو الأمرُ، صَغُرَ أو عَظُمَ. وقيل هو سبب الأمر، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشّأن والحال. والخِطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وخطب الخطيب على المنبر، واسم للكلام:الخطبة، والخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلاّ على وجه واحد، وهو أنّ الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر. والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجل خطيب:حَسَنُ الخطبة، وجمع الخطيب خطباء، وخَطُبَ بالضّم، خطَابة، بالفتح: صار خطيبا[4]. ينما وردت كلمة " خطب" في التنزيل المحكم قوله تعالى : ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[ص/ 20] وقوله: ﴿ **رَّبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾[النبأ/ 37]. والفرق بين الخطبة والخطابة: فالخطبة عادة هي الكلام الذي يلقى في المناسبات، كالمناسبات الإسلامية، مثل: الأعياد الدّينية وصلاة العيدين وصلاة الجمعة، وفي مناسبات التي الوعظ والتّذكير.

والخَطابة هي التي تلقى في مناسبة تثير الأزمات الطارئة، والأحداث الرّاهنة في المجالات المختلفة : منها السياسية والعسكريّة والاقتصاديّة والقضائيّة والبيانيّة، أو الاستدلاليّة وما إلى ذلك،

هذا بالنّسبة للخطابة الفنيّة في المنظور الكلاسيكي، لكنّ الخطاب بالمفهوم العلمي والنّقدي المعاصر هو كلّ ما يدلّ على عملية التواصل بين شخصين أو أكثر، ولا يوجد إلاّ في جملة؛ لأنّ الجملة هي التقسيم الأصغر- عند الألسونيين - الذي يمثّل بجدارة كمال الخطاب بأسره[5].

الخطابة اصطلاحا: إنّ الخطابة من الوجهة الاصطلاحية عند الحكماء القدماء مجموع القوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أيّ موضوع يراد تبليغه، والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو التّرك[6]. وقد عرفها أرسطو بأنها (القدرة على النّظر في كلّ ما يوصل إلى الإقناع في أيّ مسألة من المسائل أو هي القوة التي تتكلّف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة)[7] .فالخطابة لا تخص شيئا بذاته ؛ وإنّما تصلح لكلّ شيء، شأنها شأن الجدل، ومنفعتها ليست في الإقناع وحده بقدر ما هي في كشف ما يكون عليه الأمر في كلّ موضوع على حدة.

تاريخها:الخطابة قديمة قدم الإنسانية، إنّها قديمة قدم الحضارة البشرية، والبحث عنها كان قبل الجاهليّة والإسلام، إذْ ظهرت مع الأنبياء والرّسل عليهم السلام، وقد مكّنهم الله من فصاحة اللّسان وفصل الخطاب لتبليغ الدّعوة من أجل توحيده وعبادته، وإرشاد النّاس إلى الصّراط المستقيم، وإلى الوحدة والتواد فيما بينهم. والدّليل على قدم الخطابة ما ذكره القرآن الكريم على لسان موسى عليه السّلام، عند أمره بمحاورة فرعون، فدعا موسى ربه قائلا: ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[طه/ 25-28].

أما ظهورها كفن وصنعة عند الأمم السّابقة، فإنّنا نقف على أهم تراث إنسان قيّده فلاسفة وعلماء اليونان، وذلك من خلال تراثهم الذي بلغنا مدونا.إنّها بلغت قمّة نضجها، واكتمال قواعدها وأسس بنائها على يدي الفيلسوف اليوناني الكبير أرسطو(384-322ق.م) صاحب كتابي نقد الشّعر، وفن الخطابة. وقد سبقه إلى هذا المجال كلا من السفسطائيين في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، الذين كانوا يعلمون الشّباب طرق الفصاحة، وكيف يستطيعون أن يتغلبوا على خصومهم بالحقّ وبالباطل، وكيف يلعبون بالحجج الخلابة والألفاظ ودلالتها، وقد أثاروا مسائل كثيرة حول

الإقناع الخطابي، وصفات الأسلوب الجيد والألفاظ وسحرها وجمالها.[8] ويعتقد أنّ من نصّبوا أنفسهم لتعليم القواعد والقوانين للعمل بها قصد الأمن من العثار، وسبق في الخصام. وقيل إنّ أوّل من وضع هذه القواعد ثلاثة من السفسطائيين وهم: برويكوس القوسي (ت 430 ق- م)، وبروتار غوراس (485- 411ق- م)، وجوجور جياس(485- 380 ق- م) وقد جاء هؤلاء أرسطو فجمع قواعده، وضم شوا رده في كتاب أسماه الخطابة.[9] هذا ما يثبت تداول الخطابة قبل زمان أرسطو. ووقف لهذا لجماعة بالمرصاد أفلاطون، وشنّ عليهم حربا عشواء، وظلت الخطابة قائما تداولها وتناولها في أرض اليونان إلى أن جاء أرسطو فجمع شارد هذا الفنّ وأشتاته في كتاب ضمّنه قواعد هذه الصّناعة وأسماه " الخطابة " كان أصلا لذلك العلم ومرجعا يرجع الخطباء والمؤلّفون في الخطابة إليه، وموردا ينهلون منه، وهو الكتاب الذي عرّبه بشر بن متى، ولخّصه ابن رشد، وأخذ عنه فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي.[10]

وتشير الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع إلى أنّ أرسطو(384-322ق.م) يعد المعلّم الأول فهو الذي يعود إليه الفضل في التّقنين للخطابة اليونانية في مؤلّفه " **ريطوريقا** " هو كتاب من ثلاثة أجزاء كبيرة، تناول في الجزء الأوّل تعريف الخطابة وأنواعها، وخصّص الجزء الثّاني للحديث عن عواطف السامعين وانفعالاتهم، أما الجزء الثّالث فشغله بالعبارة وخصائصها وتأليف الخطبة وترتيب أجزائها. وتشير الدراسات إلى كتابي الخطابة وفن الشّعر لأرسطو، وفضلهما في الدراسات البلاغية والنّقدية القديمة والحديثة في أوربا والعالم العربي.[11]

وكان قبل هذا التاريخ الشعر القصصي، أو شعر الملاحم فقد هيمن على البيئة اليونانية بين القرن الحادي عشر والقرن الثّامن قبل الميلاد. والشّعر الغنائي هو الأخر بسط رداءه على أرض اليونان من القرن الثّامن إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم الشّعر التّمثيلي خلال القرنين.الخامس والرّابع قبل الميلاد، وفي هذه المرحلة الأخيرة أخذ فن الخطابة يظهر للوجود بقوة فائقة، ويستقطب ألاف المحبين والأنصار والمؤيدين والمتذوقين لهذا الفن الجديد الذي لقي معارضة شديدة من بعض الفلاسفة أمثال: سقراط وتلميذه أفلاطون، وبعض المناطقة. فحين رفع لواءه في سماء أثينا السفسطائيون منذ القرن السّادس قبل الميلاد، وكانوا يمتازون بالصّنعة والكلام، وجمال العبارات

والألفاظ والبلاغة، والعمل على النّهوض بالنّثر الفني في المقام الأوّل، إلى أن بلغت الخطابة قمّة النّضج والتقعيد والتّنظير على يده أرسطو في كتابه فنّ الخطابة. [12]

وقد خالف هذا الفيلسوف كلّ من سبقه لتناول الخطابة، فبيّن أنواعها وأسسها الفنّية، وصلتها بالمنطق الصّحيح، وبذلك ظهر فضله على كلّ من تناولوا هذا الفنّ.[13] وفي عهده ازدهرت الخطابة وعظمت عظمة فنّ الشّعر، وهذا يرجع لعدة عوامل منها:حرية الرّأي والتّعبير والدّيمقراطيّة التي كان المجتمع اليوناني يتمتع بها في هذه الحقبة الزّمنية، مما رفع مكانة الخطيب إلى درجة رفيعة؛ لأنّه الرّجل الذي يستطيع قيادة الجماهير وتوجيهها إلى قوة بيانه ونصاعة حجته، وحسن قوله، وإقناعه المنطقي، والبراهين والاستدلال الصحيح الذي يوظّفه. مما مكن الخطيب من أن يحلّ مكان الشّاعر والفيلسوف في زمان أصبحت فيه الخطابة والخطيب فوق كلّ اعتبار. [14]

فائدة الخطابة: للخطابة فوائد كثيرة منها :حل المشاكل، وقطع الخصومات، وتهدئة النّفوس في حالة الغضب، وإثارة النّفوس الفاترة في حالة الفزع، وهي التي ترفع الحق، وتخفّض الباطل، وتقيم العدل، وترد المظالم، وهي صوت المظلومين، وهي لسان الهداية. والخطابة هي الدّعامة التي قامت عليها الانقلابات العظيمة والثّورات الكبيرة في تاريخ البشريّة. [15]

أنواع الخطابة عند الأثينيين: كان لأرسطو الفضل الكبير في تحديد أنواع الخطابة، وهو ما تضمّنه كتابه لأوّل، وهي: ثلاثة أقسام، وذلك تبعا لأصول الزّمان. من ماض، وحاضر، ومستقبل. وهي بحسب التّسلسل الزمني :

1 – **الخطابة القضائيّة**. وتخصّ الزّمن الماضي، والغاية منها الدّفاع عن متّهم بتبرئته أو الحكم عليه بإدانته، وهي من اختصاص المحاكم ورجال النّيابة. وقد ساعد على ازدهارها : النّظام اليوناني كان يقضي بألا ينوب المحامون عن أرباب القضايا في الدّفاع أمام المحاكم، ولما كان أصحاب هذه القضايا لا يحسنون الدّفاع عن أنفسهم، فكانوا يلجأ ون إلى الخطباء ليعدّوا لهم ما يخطبون به أمام العدالة. [16]

2- النّوع الثّاني: هي الخطابة **التّثبيتية أو البيانية**، أو**الاستدلالية**. وتختص بالزمن الحاضر لِمَدْحٍ فترغيبٌ أو ذمّ فتنفيرٌ، وسميت استدلاليّة على ما يسلق فيها من مدح أو ذمّ، وغايتها بيان الجميل أو القبيح من الأفعال[17]. وهذا النّوع من الخطابة مازالت قائمة لليوم عند جميع المجتمعات، بما فيه الخطابة السياسيّة.

3 – النّوع الثالث من الخطابة وهي: الخطابة **الشوريّة**، أو **السياسيّة**. وهذا النّوع من الخطابة يتعلّق بالمستقبل لحمل السامعين على جلب النّفع للأمّة أو دفع الضّر عنها، أو للحضّ على الحرب أو السّلم، وسنّ القوانين التي تسير عليها الأمة.بل هذا النوع من الخطابة يخصّ السّياسة العامة للدولة وللبلاد، وما يخص أمورها الدّاخلية والخارجية. كان هذا التقسيم الأرسطي نموذجا يحتذى به في كلّ زمان وفي كلّ مكان من أقطار المعمورة، منذ أن شرّعه هذا الفيلسوف إلى الوقت الرّاهن[18].

ولم يقتصر عمل اليونانيين على تحديد أنواع الخطابة، بل تعدى عملهم إلى الغوص في دراسة بنائها الفني، وهو الأهم فيها ؛لأنّ البناء الفنّي جدّ مهم، وبفضلة تحقق الخطابة غايتها، والقصد الذي وجدت من أجله، وما يشترط في الخطيب الذي يعتبر عنصرا مؤثرا في جمهور السامعين من حيث صفاته الجسديّة والنّفسية والإلقائيّة.

قبل الانتقال إلى تاريخ الخطابة والبلاغة عند العرب، فقد تشير الدراسات التي أولت اهتمامها للخطابة اليونانيّة إلى أنّ البلاغة قد ارتبطت عند هؤلاء بالخطابة ارتباطا وثيقا وقويا، قال بدوي طبانة :"ومن أجل ذلك ارتبط عندهم علم البلاغة بفن الخطابة ارتباطا وثيقا، وكان أكثر ما ينظر في استنباط قواعد البلاغة وتدوينها إلى عيوب الخطب التي أثرت عن أعلام الفنّ الخطابي، ولذلك يمكن القول بأنّ البلاغة وقواعدها وفنونها الكثيرة مدينة إلى حدّ كبير للخطابة والخطباء الذين ازدهر الفنّ الأدبي على أيديهم، وجعلوا النّجاح في الخطابة يعتمد على فصاحة اللسان، والقدرة على إيراد الحجج التي تؤثر في النّفوس، ليكون من هذا التأثير وسيلة لإقناع المقول، بصرف النظر عن الأدلة اليقينية، والبراهين المنطقية "[19].

هذا ما يثبت حقيقة قدم البلاغة وقواعدها هي الأخرى قديمة قدم الأدب الإغريقي، وهي لا تخصّ مجتمعا بعينه، ولا جيلا محدّدا. فقد أعطى لها اليونانيون عناية بالغة، وجعلوها صفة من

الصفات التي يتوجب توفيرها في الخطاب، مع مراعاة مقتضى الحال، ومراعاة أحوال المتلقين والسامعين من الناس وفق طبقاتهم وثقافاتهم، وعلى ذلك يستحسن اختيار الألفاظ والأساليب الملائمة لكل طبقة، فلكلّ مقام مقالا، ولا ريب في أن يعدّ الخطيب خطابا يناسب كلّ طبقة بما فيه طبقة عامة المجتمع من حيث الأسلوب المعتمد في الخطبة، وذلك إذا أراد الخطيب أن تكون خطبته ذات تأثير قوي في النفوس؛ ومع الطبقة المثقفة والعليا هنا يتوجب توظيف ما أمكن من الصنعة اللفظية، المتمثلة في اختيار المفردات الملائمة لمقام الحدث، ثمّ التركيز على توظيف أفضل الأساليب البلاغية ؛ لأنّها هي السّحر الجمالي في فنّ الخطاب، من اعتماد المجاز، والاستعارة، والتشبيه؛ وهذه الأساليب ضرورية في إثارة العواطف، والعناية بها ضرورية في الشّعر والنّثر وبالأخصّ في الخطاب كي تكون أشد وقعا على النفوس، وأكثر تأثيرا على العقول والعواطف، وتعكس قوة ومكانة الخطيب وخطبته، ولاسيما في الخطب الحماسية. فالتصوير الصادق لحقائق الأمور من الخطيب مع تخير الأساليب الخيالية، واللغة الملائمة لكلّ مقام، ولكلّ فئة المستمعين قد تكون مثيرة للخيال ووجدان المخَاطبين تجاوبا كبيرا وإقبالا شديدا.

طرق تحصيل الخطابة: لقد اشترط المنظرون لفن الخطابة شروطا تخص **الخطيب** وأخرى تتعلق **بالخطابة** نفسها، وأخرى تتعلق **بالجمهور**، والعناصر الثلاثة هي المكون لأصول الخطابة، ونتناول ما يتعلّق بالخطيب؛ لأنّه هو قطب الرحى الذي يؤثر في المخاطبين بفضله تخير خطبه، المناسبة للأحداث والمقام، ومستوى الجمهور.

منها ما يخص الخطيب : قالوا أن يكون خاليا من العيوب الكلامية، مثل الفأفأة وغيرها، وأن تكون مخارج لحروفه صحيحة، وأن يتميز بالفصاحة، وأن يكون طلق اللّسان، ثابت الجنان، وأن يكون ذا صوت جهوري، وأن عقل ألمعي، وأن يكون ذا قلب ذكي، ونفس متوثبة، ولسان مبين، وخاطر حاصر، وبديهة متيقظة، وفراسة مدركة، ونظرات نافذة. (20)

وأضاف المختصون والعارفون قواعد هذا الفن إلى الشروط السابقة الذكر لمن أدار أن يكون خطيبا كبيرا شروطا أخرى منها : الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء، ومصا قع الخطباء ومعرفة

الأصول والقوانين التي وضعها الحكماء، والتدريب على الخطابة، فإنّ ملكتها تنمو وتقوى بالمران والممارسة، وفي هذا الشأن قال صاحب المثل السائر ضياء الدين أبو الفتح محمد ابن الأثير(ت558هـ - 1165م) إنّ في الاطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمة ؛لأنّه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كلّ فريق منهم وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فهذه الأشياء مما تشحّذ القريحة، وتذكي الفطنة إلى غير ذلك).[21]

بعد ما تناولنا تاريخ الخطابة، وأنواعها، وأهميتها في حياة المجتمعات، وخصائصها عند المجتمع اليوناني المؤسس الحقيقي لهذا الجنس الأدبي الرائع، ننتقل إلى تاريخ الخطابة عند ا لعرب قبل وبعد الإسلام، ثمّ خصائصها الفنية والجمالية في ظل الإسلام، وتأثيرا لبلاغة بالخطابة، والخطابة بالبلاغة، وتأسيس البلاغة خدمة للدراسات القرآنية، واللغوية بشكل عام.

الخطابة العربية وأشهر رجالها في الجاهلية: لقد اشتهر العرب في الجاهلية بالشعر، وبواسطته دونوا مآثرهم، وأمورهم، واهتم به الرواة لسهولة حفظه، واستيلائه على العقول والعواطف والنّفوس فافتنوا به، فكان أكثر حظا من النّثر في البقاء، والانتقال عبر التاريخ إلى الأجيال اللاحقة، وما وصلنا من النثر إلا النزر القليل جدّا، حصره المؤرّخون في: (**الأمثال، والخطب، والوصايا، وسجع الكهان**).ولعلّ سبب قلة ما وصلنا من المنثور العربي ومنه الخطب سببه قلّة اعتماد التدوين، وصعوبة حفظ ما هو منثور، ثم هناك أسباب ذكرها ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ - 1064م)، قال : (وكان الكلام كلّه منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيّامها الصالحة، وأوطانها النّازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد، لتهزّ أنفسها للكرم، وتدلّ أبناءها على حسن الشّيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تمّ لهم وزنه سمّوه شعرا؛لأنّهم شعروا به، أي : فطنوا. وقيل ما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور أكثر مما تكلّمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من المنظوم عشره) [22]. لعلّ سبب قلّة النّثر الفني الجاهلي الذي كتبت له الحياة، ووصلنا معبّرا بصدق عن الحياة العربي آنذاك، ما صوّره لنا ابن رشيق من خلال تعليله هذا. ومن بين ما بلغنا من النّثر الخطابة التي إ رتقت الخطابة، وذاع صيت

الخطيب، وتراجعت مكانة الشّاعر عندما أصبح الشّعر غرضا للتكسب، كما هو الحال مع النّابغة الذبياني، والأعشى.

عرف العرب هذا الجنس الأدبي منذ الجاهلية، وفي الإسلام زاد ت أغراضها، وتوسّعت مجالاتها بسبب الدّين الجديد، ونزول القرآن الكريم الذي أثرى لغة العرب من حيث غناؤه بألفاظ ليّنة جديدة عذبة رقيقة، وأساليب خياليّة رائعة، وسعة في المعاني التي تتماشى والحياة الإسلامية. كان القرآن الكريم سندا للخطباء وغيرهم، يرجعون إليه عند حاجتهم إلى الشّواهد في تفسير كلام الله، أو الاقتباس من ألفاظه وصوره وجمال بيانه عند تنظيم خطبهم، وكتابة رسائلهم. وتميّزت الخطابة بخصائص عما كانت عليه في الجاهلية كتجنب السّجع والتّكلف والصّنعة المفرطة، وحافظت على فصاحة البيان وجودة النّطق، وسداد الرّأي، ومراعاة مقتضى الحال، وقوة شخصية الخطيب، وبذلك كان للخطبة والخطيب شأن عظيم. [23] وأهم مقويات عضد الخطيب والخطابة ما رواه الجاحظ، إذ قال: رأس الخطابة الطّبع، وعمودها الدّربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيّر الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه). [24]

كما تميزت الخطابة الجاهلية من حيث المبنى بقوة ألفاظها التي تعكس طبيعة وعيش العربي في هذه الرّقعة الجغرافية المترامية الأطراف القاسيّة طبيعتها بسبب شدّة الحرّ، وصعوبة العيش أمام كثبان الرّمال اللامتناهية، وما إلى ذلك من خصائص اجتماعية، وعادات وتقاليد تربى عليها العربي في هذا الفضاء الواسع من الجزيرة العربية. فجاءت ألفاظ كلامهم مناسبة لمعاني خطابهم، من كلمات وحشية غريبة، كالتي كانت تتميز بها لغة حمير. بينما كانت معاني خطبهم فطريّة، نابعة عن عفو خاطر، دون كدّ للفكر، ولا تعمق في النّظر، وهو ما جعل خطبهم غير متماسكة الأطراف، مثل خطب الأكثم بن صيفي، وتميزت معاني خطبهم بصدقها، وقلة المبالغة فيها، وهو ما يعكس صدق الخطيب، وحبه للحقيقة، كما تلمس في نصائحهم، ووصياهم معاني اجتماعية، وخلقية عالية.

أما من حيث الأسلوب فقد تميزت الخطبة الجاهليّة باعتماد الارتجال في حال إلقاء الخطبة، وعلى إثر ذلك كان أسلوب كلامهم خاليا من التكلف، والصنعة، فهم أرباب لغة وبلاغة القول،

فخلت خطبهم من المحسنات اللفظية، غير أنّ هذه الخطب لم تتحرّر من السجع.[25] ولذلك نال الخطيب منزلة عالية عند قومه، وقد روت لنا أهم المصادر في هذا الشأن على ألسنة المؤرّخين. قال أبو عمرو زيّان بن عمّار بن العلاء(ت154هـ): كان الشّاعر في الجاهليّة يقدّم على الخطيب. فلمّا كثر الشّعر والشّعراء، واتخذوا الشّعر مكسبة، ورحلوا إلى السّوقة، وتسرّعوا إلى أعراض النّاس، صار الخطيب عندهم فوق الشّاعر) [26]. ولعلّ هذا ما جعل الخطيب يتقدّم على الشّاعر زعامة، وسيادة، فهو البطل والحكيم والقاضي، والآمر والنّاهي، والمرشد، يأمر فيطاع، ويستشار في كلّ الأمور؛لأنّه الرّأي السّديد والفكر المنير، وهم كثر ذكر المؤرخون بعضهم من مَنْ نالوا الدّرجة العاليّة والمكانة الرّفيعة عند قبائلهم، فتجاوزت سمعتهم حدود القبيلة إلى سائر قبائل جزيرة العرب بفضل خطبهم.

وتفاوت القبائل فيما بينها من حيث شهرة وكثرة خطبائها، مثل : إياد، وعبد شمس، يقول الجاحظ في هذا الشأن : ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب، فهاتان الخصلتان خصت بهما إياد وتميم، دون جميع القبائل. [27] كان هذا دليل على مكانة الخطيب عند العرب بفضل قوة خطبته في الجاهلية، والإسلام، وكان لكلّ قبيلة خطباؤها، قبل أن يعرفوا ترجمتها عن اليونان في القرن الثالث الهجري من قبل إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي الطّبيب المشهور (ت298هـ) الذي ينتسب إلى مدرسة جند يسابور، رحل إلى بلاد الرّوم، وتعلم اليونانيّة، وكان يجيد بجانبها السّريالية والفارسية والعربية هو وابنه إسحاق، وابن أخته حبيش، كانوا يترجمون معا تحت ما يسمى الكلام على "سوفسطيقا" أي: الخطابة، وقيل نقلها ابن ناعمة، وأبو بشر متى إلى السرياني، ونقله يحيى بن عدي إلى العربي[28]. ووصلتنا بعض النماذج من تلك الخطب الجاهليّة التي تدلّ على قوة بنائها وتخير ألفاظها، وحسن عباراتها، وفصاحة لغتها، وظهور الصّنعة عليها من الميل إلى السجع، وقصر جملها، لم تخل من البيان. كان أصحابها يستخدمونها في منا فراتهم ومفاخرهم، وإثارة الحميّة، وإيقاظ الحماسة، وتثبيت القلوب، وفي النّصح والإرشاد، وفي الحث عن القتال يوم زحف الأعداء، وفي الصّلح والسّلم، وفي الاجتماعيات كالزّواج، والوصايا، والرّثاء والعزاء، وإثارة الحمية[29].

إنّ خطباء العرب في الجاهليّة، وحتى بعد الإسلام كُثُرٌ، ليس من السّهل الإلمام بهم جميعا؛ منهم : كعب بن لؤى كان شيخ كنانة في عصره، وهو من أقدمهم، جمع بين الخطابة والشّعر، وهو

الجدّ السّابع للرسول- صلى الله عليه وسلّم – كان يخطب العرب عامة، ويحضّ على البّر كنانة خاصة، ولما مات أكبروا موته، وأرّخوا به حتى عام الفيل، ثمّ عبد المطّلب بن هاشم (ت45ق.هـ – 578م) هو شيبة أو عبد المطّلب بن هاشم جدّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – سيّد قريش في زمانه، وأنبلها وأسدّها فكراو رأيا، وقصته مع أبرهة الحبشي عند ما قدم لتهدم الكعبة الشريفة معروفة، والأكثم بن صيفي(ت10ق.هـ – 612م) من أهل الحجاز، أحد حكماء العرب، مات مشركا أحكم قبيلة تميم، ومن خطبائها البلغاء والحكام الرؤساء، وقس بن ساعد الأيادي، توفي حوالي (22ق.هـ –600م)، أسقف نجران وخطيبها وحكيمها، وهو الذي قال فيه الرسول- صلى الله عليه وسلم – رأيته في سوق عكاظ وهو يقول : " أيّها النّاس اجتمعوا واسمعوا وعوا. من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آت آت".[30]، وقد دعا العرب إلى التّوحيد، وإيمانه بالبعث يعدّ من أقوى أهل الفكر عند العرب، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة.، وأبو طالب عمّ الرسول، وذو الأصبع العدواني(ت25ق.هـ –595م)، وأبو عمار الطّائي خطيب مذ حج، أعدم في مجلس لهو على يد النّعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومن الخطباء: حاجب بن زرارة التميمي(ت553م)، كان حكيما مشهورا، وخطيبا بارعا، وعطارد بن حاجب بن زرارة، وقد أدرك الرسول- صلى الله عليه وسلّم- وخطب بين يديه، زيادة عن ما ذكر من خطباء كهان وكاهنات العرب.[31]

كانت هذه ثلة من بعض مشاهير هؤلاء الخطباء من الجاهليين، كان فيهم من يجمع بين الشّعر والخطابة والبلاغة والحكمة. وقد حاول الجاحظ إحصاء أهم هؤلاء الخطباء، والخطباء الشعراء. قال: ومن يجمع الشّعر والخطابة قليل. ومنهم:عمرو بن الأهتم المنقري، ومن الشعراء الخطباء:عامر بن الظّرب العدواني (ت78ق.هـ –535م) يعدّ من الشعراء الخطباء البلغاء الحكماء البارعين، وعمر بن كلثوم (ت52ق.م – 570م) التغلبي أحد شعراء المعلقات، وكذلك قس بن ساعدة الإيادي الذي سبق ذكره، فهو شاعر وخطيب.

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن حطّان، و**عمرو بن الأهتم** المنقري، شاعر وخطيب تغلب، وهَيْذَان بن شيخ، وقيس بن خارجة بن سنان، ويقال إنّه خطب في داحس والغبراء يوما إلى اللّيل،

وما يثبت طول نفس الخطيب ما ذكره الجاحظ في قصة هذا الرجل عند ما سئل بالمناسبة المذكورة آنفا، فقال: عندي قرئ كلّ نازل، ورضا كلّ ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشّمس إلى أن تغرب، آمر فيها بالتواصل، وأنهى فيها عن التقاطع، قالوا : فخطب يوما إلى اللّيل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى وكذلك اشتهرت بالخطابة قبيلة تميم وإياد على سائر القبائل العربية. [32] كانت هذه جملة من الشواهد عن الخطباء الجاهلية. [33]

الخطابة في صدر الإسلام وبعده: حينما جاء الإسلام عظم شأن الخطابة، وارتقت مكانتها بفضل الكتاب المبين والدّين القويم والسّنة الطّاهرة، وكانت حاجة الإسلام والمسلمين إلى الخطابة أشدّ في سبيل الدّعوة إلى الدّين الجديد، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وبعث الحماسة في نفوس جند المسلمين عند الزّحف أو الخطب، وغيرها مما يقتضيه الحال إلى ذلك.

وأهم ما ميز الخطابة في صدر الإسلام وبعده، اختلاف أغراضها ومعانيها في الإسلام منها في الجاهلية، فغلب عليها الإيجاز في الجمل، مع شيء كثير من الموازنة، وشيء قليل من السجع، مع اقتباس أو تضمين للأمثال والأشعار، وزاد خطباء الإسلام الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، والحديث الشريف. [34] وأكسبهم القرآن الكريم والسنة المحمديّة الشّريفة معان جديدة لم تكن من قبل، وألفاظ سهلة متينة ذات دلالة موحية، وكان الخطباء ينتهجون القرآن الكريم منهج استدلالهم، وحجة إقناعهم. كان هذا ما جعل تنوع أغراض الخطابة من خطابة دينية، وسياسية، وخطابة المحافل، والمواعظ والزّهد، والزّواج، أو عند الأخذ العدة للجهاد، أو في كلّ أمر جامع لنشر فضيلة أو نهي عن رذيلة، أو إعلان عن نصر، أو تأكيد وصيّة عامة أو خاصة. [35] كان ذلك بفضل القرآن الكريم، وإعجازه وفصاحته وقوة بيانه التي تشبهها أيّ قوة، وببلاغته التي أبهرت عقول العرب، مع غزارة الفصاحة وقوة الأسلوب ومتانة. وكانت حاجتهم إلى الإسلام أشد للدخول في الدين الجديد، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – أخطب العرب قاطبة، وخطبة حجّة الوداع خير مثال على ذلك. ثم الخلفاء الرّاشدون، والصحابة والتابعون، وأمراء الجيوش وولاة الأمصار، والقضاة من الخطباء، غير أنّ بعضهم كان أخطب من بعض.

ومن أفضل خطباء بني أمّية بعد الرسول والخلفاء: معاوية وزياد بن أبيه، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وقطر بن الفجاءة وغيرهم.[36] وقد ارتقت الخطابة في العصر الأموي رقيا كبيرا لأسباب كثيرة منها الدّينية، والحزبيّة، والحربيّة. وهكذا ظلت الخطابة على درجة عالية من القوة والفصاحة والبلاغة إلى نهاية القرن الثّاني الهجري وبداية القرن الثالث. وبرز خطباء مصاقع من بني هاشم أمثال: المهدي، وهارون الرّشيد وابنه المأمون. ثم دخلت الخطابة في سبات عميق لأسباب كثيرة منها كثرة اختلاط الأعاجم بالعرب، وتقربهم من قصور الأمراء والولاة، وتوليهم مهام إدارية عالية كالوزارة، وقيادة الجيش، وقيادة الولايات، والمراسيم، كانت هذه جملة من العوامل التي أدت إلى ضعف الخطابة وغياب الخطباء، إلا ما يتعلّق بالخطب الدينية، والمناسبات، والزواج، وما إلى ذلك، إلى أن جاءت النهضة الفكرية والأدبية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فأعادت الخطابة نشاطها من حيث تعدد أغراضها، وقوة بنائها، وحسن أسلوبها، والفضل يعود إلى جهود بعض الإصلاحيين من العالم الإسلامي والعربي. مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وغيرهما. ولعل الفضل يرجع كذلك إلى النهضة الفكرية والاجتماعية التي عرفتها مصر وبلاد الشام، ودور الحركة العرابية، وخطبائها أمثال :عبد الله النّديم[37].

موارنة بين الخطابة الجاهلية والخطابة الإسلامية: اختلفت الخطابة في الجاهلية عن مثيلتها في الإسلام في الأغراض وفي المعاني، والاعتماد على السّجع اعتمادا كبيرا، مع إدماجهم الصور البيانية من تشبيهات واستعارات، ودمجهم التّجويد والتّحبير، مع الميل للإيجاز. وظلّ أسلوبها في الإسلام في كثير من الأحيان على ما هي عليه في العصر الجاهلي، قصر في الخطب وإيجازا في الجمل، وشيء قليل من السّجع. يضاف إلى ذلك اقتباس أو تضمين للأمثال، والأشعار.[38] ولعلّ السّبب في ذلك يرجع إلى أنّ الخطباء في الإسلام كانوا أكثر علما، وأوسع فكرا، فهم أهل علم ودين وتحضر.

كما امتازت الخطبة في الإسلام عن الجاهلية كونها عرفت الخطبة الدّينية التي لم تكن في الجاهلية مثل: خطبة الجمعة والعيدين والحج والمناسبات الدينية، والوعظ والإرشاد. مع صفاء ألفاظها وسهولة عباراتها ومتانة أساليبها وتجنيبها سجع الكهان، وقلّة القصد فيها إلى سرد الحكم

القصيرة الدّقيقة المناسبة وغير المناسبة خلافا لما كانت عليه في الجاهليّة. ومحاكاتها أسلوب القرآن الحكيم في الإقناع واستمدادها من آياته. بداءاتها بحمد الله والثّناء عليه عزّ وجلّ، والصّلاة على النّبي –صلى الله عليه وسلّم –.وكانت أهداف الخطابة التّأثير البلاغي من طريق الألفاظ والتّراكيب التي تمس العاطفة وتذكر بالمثل العليا، وتذكي شعلة الدّين في النّفوس من الجموع الحاشدة، وهذا ما لم يكن في الخطابة قبل الإسلام. (39) وزاد في الخطبة الإسلامية الاستشهاد بآيات من الْقرآن الكريم، وبأحاديث الرسول– صلى الله عليه وسلم–.

وخلاصة الكلام فإن الخطابة في صدرا لإسلام امتازت بالفصاحة والبلاغة، وكانت غايتها التّأثير البلاغي من طريف الألفاظ والتراكيب التي تمس، وتذكّر بالمثل العليا، وتذكي شعلة الدّين في النّفوس، وفي الجموع الحاشدة. آخذة أسلوبا حيّا متينا مؤثرا مع إحكام في الصنعة، وحسن وجودة افتتاح واختتام للخطبة. كما كثرت الأسجاع في خطب المفاخرة والمنافرة في الجاهلية، وسار عليها الخطباء بعد الإسلام. غير أنّ الأسلوب الخطابي غرضه هو أن يتوصل فيه الخطيب إلى إثبات الغرض المقصود، وتمكّنه في نفس السّامع. وأهم ما ميّز الخطابة العربية في الجاهلية وفي الإسلام:الطّول والقصر تماشيا مع الحدث، كخطبة النّكاح والصّلح، وإجابة قيس بن خارجة بن سنان الذي سبق الحديث عنه – وهو رجل طاعن في السن– عن سؤال في شأن حمّالة داحس والغبراء. فقال: " عندي قرى كلّ نازل، ورضا كلّ ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب، آمر فيها بالتّواصل وأنهى فيها عن التّقاطع. قالوا: فخطب يوما إلى اللّيل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى". (40)

وكان منهم الخطيب الهرم والكهل والشّاب، والرّجل والمرأة، بل كانت بعض الأسر تتوارثها أبا عن جدّ، مثل: معاوية وابنه، وسعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أميّة وابنه، وعمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب. (41) كلّ هذا يدلّ على أن الخطابة العربية لم تكن تخص شخصا ما بعينه كبيرا أو صغيرا ذكرا أو غير ذكر. بل كان حتى فتيانهم خطباء، وتلك فطرة فيهم ألهمهم الله إيّاها. وما يثبت إلهام بعض الشّباب العربي بهذا الفن، ما رواه الجاحظ عن الهيثم بن عدي عن عمران بن حطّان أنّه قال:" خطبت خطبة عند زياد أو ابن زياد فأعجب بها زياد وشهدها عمي وأبي. ثمّ إني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في

خطبته شيء من القرآن". [42] وحتى النّساء كان منهن الخطيبات ذوات الفصاحة واللّسن. مثل : هند بنت الخس، وهي الزّرقاء، وجمعة بنت حابس، ووالدها من قبيلة إياد. [43] كانت هذه جملة من الشّواهد المتعلّقة بالخطابة الإسلامية وبالخطباء على مختلف أعمارهم، وهو ما يدلّ على أهمية الخطابة عند العرب، ووظيفتها التّبليغية المقنعة للغرض المقصود في جميع صورها وأغراها، على الرّغم من أنّهم لم يبدعوا في الخطابة القضائية مثل الإغريق من قبل.

واشترطوا في الخطيب: " أن يكون رابط الجأش " ساكن النّفس جدّا؛ لأن الحيرة والدّهَش يورثان الحُبْسَةَ والحَصَر؛ وهما سبب الإرْتَاجِ والإجْبَال. [44] ويلزم في الخطابة ما ينبغي أن يكون. فلا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة؛لأنّ ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كلّ واحدة منهما من الكلام، وأحسن الذي قال : لكلّ مقام مقال[45]. وكلّ ما يشترط في خطبة موجّهة لفئه خاصة على درجة عالية من العلم أن تكون ألفاظ تلك الخطبة متخيّرة منتقاة، غنية بأساليبها الخيالية والمحسنات البديعية بما أمكن. بعد التعريف اللغوي للفظة الخطاب نعرّج على تعريف كلمة البلاغة، وما ورد في شأنها لغويا هي الأخرى.

أهم الخطباء في صدر الإسلام وبعده: إنّ عدد الخطباء منذ صدر الإسلام إلى نهاية سقوط الدولة الأموية، بل والعباسيّة لايمكن حصرهم جميعا، فهم بالمئات؛وإنما نكتفي بذكر بضعة منهم فقط، لتفادي الإسهاب والإطناب، كان كلّ حيّ، أ وكلّ بلدة، أو شارع، أو قبيلة، لا يكاد يخلو من شاعر أ وخطيب.

الرسول – صلى الله عليه وسلّم – كان أخطب العرب المتقدّمين والمتأخرين قاطبة، ثمّ خلفاؤه الأربعة، وكان علي – رضي الله عنه- مكثرا، ثمّ الصحابة، والتابعون، والوفود التي جاءت تبايعه بالإسلام، والتّابعون، ومن جاء من بعدهم في العصر ألأموي، والعباسي، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: 1- قيس بن الشماس 2- صفة بن أبي زهير النّهدي، 3-ظبيان بن حجاج، 4- خالد بن الوليد، 5- وعمر بن عوف، 6- وأبي عبيدة، 7- وعمر بن العاص، وأبو سفيان بن حرب، 8- وسعيد بن أبي وقاص، 9- ومعاذ بن جبل، 10- ويزين بن أبي سفيان، 11- ومعاوية

بن أبي سفيان، 12- وزياد بن أبيه، 13- ويزيد بن معاوية، 14- وعبد الملك بن مروان، 15 - والوليد بن عبد الملك، 16- وعمر بن عبد العزيز (ت 101هـ)، 17- والحجّاج بن يوسف (95هـ). 18- والحسن بن علي، 19- وعبد الله بن عمر، 20- وعبد الرحمن بن عوف، 21 - وعبد الله بن العباس.فشعراء وخطباء هذا العهد كثيرون، يتعذّر علينا ذكرهم جميعا. وخطباء شعرا الطوائف كثيرون، قال الجاحظ : ولم ير النّاس أعجب حالا من الكميت بن زيد الأزد ي (ت 126هـ)، والطّر ماح، وكان الكميت عدنانيا عصبيا وكان الطّر ماح قحطا نيا عصبيا، وكان الكميت شيعيا من العالية، وكان الطرماح خارجيا من الصّفريّة، وكان الكميت يتعصّب لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصّب لأهل الشام، وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالصة ما لم يكن بين نفسين قطّ.[46].

ومن الخطباء الشّعراء: الطّر ماح بن حكيم الطائي، كان خارجيا من الصّفرية، متعصّبا لأهل العراء، ومن الخطباء الشّعراء : عمران بن حطّان رئيس القعد من الصفرية، وصاحب فتيانهم، ومفزعهم عند اختلافهم. ومنهم : دغفل بن حنظله النّسابة، الخطيب العلامة، ومن الخطباء الشّعراء :عجلان بن سحبان الباهلي، وسحبان هذا هو سحبان وائل، وهو خطيب العرب في رواية الجاحظ.ومن الخطباء الشّعراء العلماء: زيد بن جندب الأيادي، ومن خطباء الأمصار وشعرائهم المولدين منهم : بشار بن برد الأعمى.

ومن الخطباء الشّعراء من يؤلّف الكلام الجيّد، ويصنع المناقلات الحسان، ويؤلف الشّعر والقصائد الشّريفة، مع بيان عجيب ورواية كثيرة، ومن الخطباء الشّعراء ممن كان يجمع الخطباء الشّعر الجيد والرّسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمر العتابي، ومن الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب، والرّسائل الطوال والقصار، والكتب الكبار المخلّدة، والسير الحسان المدونة، والأخبار المولّدة: سهل بن هارون بن راهيوني الكاتب.[47] ومنهم **عمرو بن الأهتم** المنقري، شاعر وخطيب تغلب. ولا ننسى الخطيبات العربيات اللواتي برزن في مجال الشّعر والخطابة منهن : 1- الخنساء قيل توفيت في(24هـ وقيل في 42هـ)، لها ديوان شعري مطبوع، 2- والسيدة عائشة – رضي الله عنها – 3- وبعض الخطيبات الشيعيات : منهن: 4- عكرشة بنت الأطرش، 5-

وأمّ الخير بنت الحريش، والزرقاء بنت عدي الهمدانية.[48] وكذلك من الخطيبات اللامع صيتهن :6- أسماء بنت أبي بكر الصديق، وصفية بنت هشام المنقرية، 7- ومن الشّاعرات الخطيبات وفود سوده بنت عمارة على معاوية بن أبي سفيان، 8- وأمّسنان بنت خيثمة، 9- وأمّ البرّاء بنت صفوان، 10- دارميّة الحجونيّة، وليلى الأخلية والحجاج.[49]

بعد هذه الشّواهد التي حاولنا من خلالها ذكر بعض الخطباء والخطيبات العربيات في صدر الإسلام والعصر الأموي بالخصوص، فلم نلمّ بهم جميعا، وكذلك العصر العباسي هو الأخر قد شهد خطباء مصاقع، منهم الخليفة، والوزير، والولاة وقادة الجيوش وغيرهم من خاصة أبنا تلك الأمّة.في الجزيرة العربية، وفي الأمصار التابعة لخلفتهم.

الخطابة والخطاب الحديث والمعاصر: بعد ظهور المذاهب الأدبية والنّقدية الحديثة والمعاصرة في أوربا وخارجها، أسهمت تلك المذاهب والتيارات في النهضة الفكرية بشكل عام، وأعادت قراءتها للموروث الأدبي واللغوي والفلسفي والنّقدي الإنساني، ومنها الخطاب، والبلاغة. وفي ظلّ ظهور علوم جديدة لها صلة بعلم اللغة، منها علم النّفس واللسانيات ونظريات الجمال والأسلوبية، إضافة إلى الإسهامات التي قدمتها كلّ من المناهج النقدية الجديدة، من المنهج الوصفي والبنيوي والوظيفي، والتداولي. كانت هذه المناهج سباقة في تحرير البحث اللغوي من معيار يته التي هيمنت عليه لقرون طويلة إلى الوصفية العلمية والموضوعية.

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين تغير مفهوم الخطاب والبلاغة في منظور النقاد الجدد، من حيث التعريف والقراءة والدراسة، وذلك بفضل ما توصلوا إليه من دراسة علمية مستندين على المناهج المذكورة من جهة، وجهودهم العلمية الفردية والجماعية من ناحية أخرى. وكان رأيهم في الخطاب البلاغي مغايرا تماما من حيث المفهوم والتّحليل لرؤى اللغويين القدامى، وكان للتّداولية دور كبير في تحليل عملية الكلام المنطوق والمكتوب، ووصف الأحوال اللغوية وخصائصها خلال التواصل الخطابي بشكل عام، وأصبح الخطاب البلاغي هو ذلك الخطاب الذي يكتسي طبيعة كلّية جديدة تتجاوز الصّبغة الجزئية التي غلبت عليه في الدّراسات القديمة التي كان ينظر النّاقد

والدّارس إليها ويقف فيها على حدود الكلمة فقط، وما تؤديه من أثر وتأثير في نفس السّامع، وأصبح نصّ الخطاب يكتسي نظرة كلّية لا جزئية، إنّه يتجه اليوم ليصبح طريقة في التّناول التّقني، ومنهجا للتّحليل العلمي بعيدا عن المنهج المعياري.

مراجع البحث وإحالاته

1 – فاطمة البطال بركة، **النظرية الألسنية عند جاكوبسون** ،المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، ط01، 1413هـ–1993م،ص40.

2 – د/ صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النّص**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنّشر لو نجمان، ط01، 1996 م، ص61.

3 – محمود بن عمر جار الله الزمخشري أبي القاسم، **أساس البلاغة** ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة، بيروت لبنان ، ص 114.

4 – محمد بن مكرمّ بن علي بن أحمد بن منظور، **لسان العرب** ، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي مشري ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت لبنان، 4 / 134– 135.

5– رابح بوحوش ، **الأسلوبية وتحليل الخطاب** ، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة الجزائر ، ص86

6 – علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، مكتبة رحاب بور سعيد الجزائر، ص13.

7– بدوي طبانة ، **النّقد الأدبي عند اليونان** ،دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،1406هـ–1986م ،ص149.

8 – شوقي ضيف ، **في النّقد الأدبي**، دار المعارف القاهرة مصر، ط05، 1962، ص13.

9 – الإمام محمد أبو زهرة،**الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب**، دار الفكر العربي القاهرة، ص10.

10 – علي محفوظ، **فنّ الخطابة وإعداد الخطيب** ،ص16.

11 – شوقي ضيف، **في النّقد الأدبي**، ص26.

12 – بدوي طبانة ، **النّقد الأدبي عند اليونان** ، ص ،22–23.

13 – د/ محمد غنيمي هلال، **النقد الأدب الحديث**،دار الثقافة، بيروت ، لبنان ،ط1973م، ص98.

14 – بدوي طبانة ، **النّقد الأدبي عند اليونان** ، ص24.

15 – الإمام محمد أبو زهرة، **الخطابة، ص**17.

16 – علي محفوظ، **فنّ الخطابة وإعداد الخطيب** ، ص69، و**بدوي طبانة ، النّقد الأدبي عند اليونان** ، 26.

17 – رابح بوحوش، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، ص70.

18 – علي محفوظ، **فن الخطابة ، وإعداد الخطيب** ،ص69، ود/ محمد غنيمي هلال، **النقد الأدب الحديث**، ص102، وشوقي ضيف، **في النّقد الأدبي** ، ص26.

19 – بدوي طبانة ، **النقد الأدبي عند اليونان** ، ص 140.

20– – الإمام محمد أبو زهرة، **الخطابة**، ص18.

21 – الإمام محمد أبو زهرة، **الخطابة**، ص19، وعلي محفوظ، **فنّ الخطابة وإعداد الخطيب**، ص17.

22 – الحسن بن رشيق الأزدي ،**العمدة**، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ندار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، المغرب، 1934م، 1/ 20، عمر فروخ ، **وتاريخ الأدب العربي** ،دار العلم للملايين، بيروت ،1984،1/ 89.

23 – الإمام محمد أبو زهرة، **الخطابة**، ص 22.

24 – عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان الجاحظ ، **البيان والتبيين**،د ار الفكر للجميع ، بيروت لبنان، 1968م، 1/ 35.

25 – محمد أبو زهرة، **الخطابة**، ص186 – 194.

26 –عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان ، **البيان والتبيين** ، 1/ 164.

27 – **نفسه 1/ 41**.

28 – محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النديم، **الفهرست**، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدم له، د/ يوسف علي طويل، ووضع فهارسه، أحمد شمس الدين، دار الكتب العامية بيروت لبنان، ط 01، 1416هـ – 1996م، ص 406، وبدوي طبانة، **النّقد الأدبي عند اليونان** ، ص144، وشوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني**، ط02، دارا لمعارف بمصر، 1975م، ص526.

29 – د/ شوقي ضيف، **الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي**، دار المعارف بمصر، ط07، 1946م، ص27، والإمام محمد أبو زهرة، **الخطابة أصولها – تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، ص180–182.

30 – عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان الجاحظ ، **البيان والتبيين**، 1/ 207، ويراجع أحمد زكي صفوت ، **جمهرة خطباء العرب في العصور العربية الزاهرة** ،المكتبة العلمية، بيروت ، لبنان ،1352هـ–1933م، 1 / 38.

31 – **نفسه** 1/ 78– 163،112.

32 – نفسه ، **البيان والتبيين**،1/ 82، ود/ شوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي ، ص32.

33 – نفسه، **البيان والتبيين** 1/ 82،3638.

34 – د/ عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي** ،دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ،1984م،1/ 2560.

35 – علي محفوظ ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب** ،ص24.

36 – علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، ص26، – شوقي ضيف، **في النّقد الأدبي**، ص26.، دار العلم للملايين، بيروت ط05، 1984م، 1/ 256.

37 – علي محفوظ ،**فن الخطابة وإعداد الخطيب** ،ص30.

38 – د/ عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي** ، دار العلم للملايين ن بيروت، ط1984،05م، ص256.

39 – علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، ص31.

40 – عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان الجاحظ ، **البيان والتبيين**،1/ 183.

41 – نفسه ص ،1/ 212

42 – علي محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، ص27.

43 – عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**،1/ 209.

44 – الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين**، ص21.

45 – الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين** ص 27.

46– الجاحظ ، **البيان والتبيين**،1/ 36– 40.

47– نفسه،1/ 36– 40.

48 – ويراجع أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطباء العرب في العصور العربية الزاهرة**، 1/ 368–373.

49 – أحمد زكي **نفسه** ،2/ 377– 385، 2/ 407.